

أثر الحضارة العراقية على الحضارة الأندلسية الإسلامية

أ.م.د. هدى نوري شكري

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

مستخلص:

كانت بغداد محط أنظار واهتمام كبير من علماء وفقهاء الأندلس، لما تملكه من مقومات، ومدارس الفكر والعلوم والأدب، لقد أثرت بغداد تأثيراً مباشراً على حضارة الأندلس، حيث توافد طلاب العلم وعلماء الأندلس على بغداد، والأخذ منها والانتقال من علومها ومعرفتها، حيث تحتضن بغداد جهابذة العلم والمعرفة، وتحفل كتب التراجم بأسماء الكثير من علماء الأندلس الذين دخلوا بغداد طلباً للعلم، ورغبة في الاتصال بعلمائها وأدبائها وفقهائها، والعودة إلى الأندلس حاملين معهم العلوم والمعرفة التي حصلوا عليها، فاستنسخوا الكثير من الكتب، ونقلوها إلى الأندلس، ولقد أثر التواصل بين بغداد والأندلس بشكل واضح على ازدهار، وتقديم الأندلس في شتى مجالات وحقول العلوم والآداب والمعرفة، فكانت سبباً في ولادة الحضارة الإسلامية في الأندلس، ثم أدى إلى نضج علمي واكتمال بناء الشخصية العلمية الأندلسية.

لقد اعتمدت الحركة العلمية في الأندلس في أول الأمر على مجهودات علماء بغداد والمشرق الإسلامي، لكن الأمر لم يدم طويلاً، فلم تلبث الأندلس إلا أن استقلت فكرياً في عهد عبد الرحمن الناصر (350-300 هـ / 961-912 م)، وظهر الكثير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين، مثل ابن رشد، وعباس بن فرناس، واتصف حكام الأندلس برعاية العلم والعلماء، فقاموا ببناء دور الكتب، وأنشأوا المدارس والمكتبات، والكتاتيب لتعليم الصبيان اللغة العربية، وآدابها ومبادئ الإسلام على غرار نظام الكتاتيب في المشرق العربي، واتخذوا المؤدبين يعلمون أبناء الفقراء.

مفاتيح البحث: الأندلس - العلماء - المستشرقين - المشرق الإسلامي.

The impact of the Iraqi civilization on the Andalusian Islamic civilization

Huda Nouri Shukr Al-Mahdawi

Al-Iraqia University / College of Education for Girl - History Department

Abstract :

Baghdad was the center of attention and interest from the scientists and jurists of Andalusia, because of what it has - a features, schools of thought, science and literature. Baghdad has had a direct impact on the civilization of Andalusia. Students of knowledge and scholars of Andalusia flocked to Baghdad to take the sciences and knowledge, as Baghdad embraces the geniuses of science and knowledge. On the other hand, the translation books are full of the names of many Andalusian scholars, who entered Baghdad for request knowledge and a desire to communicate with its scholars, writers and jurists, and to back to Andalusia with the sciences and knowledge, they acquired. They copied many books and transferred them to Andalusia. The communication between Baghdad and Andalusia clearly affected the prosperity and progress of Andalusia in various fields and fields of science, literature and knowledge. This was the reason for the birth of the Islamic civilization in Andalusia, the scientific maturity and the completion of building the Andalusian scientific personality.

The scientific movement in Andalusia initially relied on the efforts of the scholars of Baghdad and the Islamic East. But this matter did not last long, because during the era of Abd al-Rahman al-Nasir (300-350 AH / 912-961 AD), Andalusia became intellectually independent. At this time, many scholars, philosophers and historians appeared, such as Ibn Rushd and Abbas Ibn Firnas. In addition, the rulers of Andalusia were created by the sciences and scholars, who built bookshelves, established schools, libraries, and scribes to teach boys the Arabic language, its etiquette and principles of Islam similar to the scribes system in the Arab East, and they took educators to teach the children of the poor.

Keywords: Andalusia, Scholars, Orientalists, the Islamic East.

العلماء المسلمين، الرياضيات والفلك، والكيمياء، وكان له دور بارز في نشر علوم العرب في أوروبا، كذلك المستعربون الذين كانوا يمثلون عنصراً فعالاً في الحياة الأندلسية في نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا النصرانية .

المبحث الأول :

الحياة العلمية في مدينة بغداد

أولاً : مكانة العلم في الإسلام :

إن ديننا الإسلام يعد طلب العلم من أعلى درجات العبادة، قال تعالى⁽¹⁾: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، لقد قرن الإسلام العلم بالإيمان ، لأن الإيمان عقيدة وتفكير واقتناع، وكل ذلك لا يكون إلا بالعلم الصحيح، ولن يكون المسلم مؤمناً حقاً إلا إذا قام بواجب التعلم ثم بواجب التفكير والتأمل والاجتهاد، قال رسول الله ﷺ : (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)⁽²⁾، فكلمة العلم تتضمن كل مظاهر العلم والمعرفة وكل أنواعهما، فالاعتقاد الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم، واختيار وليس الموروث أو الناشئ عن التقليد المجرد، لقد كان الإسلام ثورة على الجمود العقلي، فالتطور الفكري والبحث العلمي، لا يتعارضان مع الإسلام الذي لم تنحصر وظيفته في النهوض بروح الإنسان فحسب، لقد أطلق الإسلام حرية الرأي والفكر ، وإن أعلى منزلة دعا إليها الإسلام في تمجيد العقل، وتحصيل العلم، أنه قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة عن وجود الخالق، وتفرد بالوحدانية، قال تعالى⁽³⁾: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، إن الإسلام دفع بالمسلمين إلى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأوليين والأخريين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بعد أن تم فتح الأندلس من قبل العرب المسلمين، انتشر الإسلام انتشاراً سريعاً بين أهالي شبه الجزيرة، وانتشرت اللغة العربية التي سرعان ما أصبحت لغة الثقافة والحضارة، وكان لسياسة التسامح فيها كثير من الرفق بأهل البلاد، ورفع المظالم أثر في بناء حضارة الأندلس، فقد انتشر التعليم في الأندلس، وظهر العلماء والعباقرة في كل ميدان ، وكثرت المدارس والجامعات، وزاد الوعي الثقافي، ويذكر أنه كان في الأندلس في عصر الحكم المستنصر سبعون مكتبة عامة، تحوي مئآتاً لآلاف من الكتب في مختلف حقول المعرفة بالإضافة إلى المكتبات الخاصة، ومكتبة قرطبة المركزية، وأصبحت قرطبة يومها قبلة العلماء والطلاب في المشرق والمغرب، وقد كان من أسباب الازدهار العلمي في الأندلس أنها لم تكن في أي وقت بمعزل عما يجري في حواضر العلم العربية الإسلامية الأخرى، بغداد، دمشق، القاهرة، فاس، فقد كانت الصلات الفكرية والعلمية مستمرة بين مختلف أقطار العالم الإسلامي، يتنقل بين ربوعها العلماء والطلاب، والمؤلفات والمذاهب الفكرية، وكان لانتشار اللغة العربية الواسع بين الأسبان المعاشين للعرب، وتشديد الأندلس حضارتها الإسلامية، توافدت عليها البعثات الأوربية الشخصية والرسمية، فقد حمل العرب المسلمون في الأندلس مشعل العلم والحضارة، يقصدها طلاب أوروبا، ويقضون من السنوات في الدراسة والإطلاع على مؤلفات العرب فيها، وفي مقدمتهم الراهب الفرنسي (جربرت دي أورباك) الذي وفد الأندلس في عصر الحكم المستنصر، ودرس على أيدي

(1) المجادلة : آية 11 .

(2) ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد (275هـ/ 888م)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، رقم الحديث: (224)، ص 81 .

(3) آل عمران : آية 18 .

وكنتم قد تفقّهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القاسبي، وأبي محمد الأصيلي، وكانا عالمين بالأصول، فلما حضرت مجلس (جلس) القاضي أبي بكر بن الطيب، ورأيت كلامه في الأصول والفقه على المؤلف، والمخالف حققت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئاً، ورجعت عنده كالمبتدئ⁽⁴⁾، كذلك لم يستوعب أبو بكر الطرطوشي⁽⁵⁾ على الرغم من علميته العالية محاضرة مدرس المدرسة العادلية ببغداد عندما تطرق إلى مسألة قال فيها: إذا تعارض أصل وظاهر؟ فأيهما يحكم، واستطرد قائلاً: فما علمت ما يقول، ولا دريت إلى ما يشير حتى فتح الله، وبلغ بي ما بلغ⁽⁶⁾.

كذلك تميزت المدرسة البغدادية بموضوعاتها المتنوعة في الفقه والحديث، وعلم القراءات وعلم اللغة والنحو والطب والحساب والفلك بخصوصية المناهج التعليمية المعقدة التي اعتمدت المناظرة والجدل، وطرح

(4) ابن عياض، القاضي عياض بن موسى (ت 544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 1402هـ - 1882م، 47-46/7.

(5) أبو بكر الطرطوشي: وهو الإمام العلامة، القدوة الزاهد، شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه، عالم الإسكندرية، وطرطوشة: هي آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس، ثم استولى العدو عليها من دهر وكان أبو بكر يعرف في وقته بابن أبي رندقهلازم القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، ثم حج، ودخل العراق، وسمع بالبصرة "سنن أبي داود" من أبي علي التستري وسمع ببغداد من قاضيهما أبي عبد الله الدامغاني، توفي بالإسكندرية سنة عشرين وخمسة رحمه الله؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 490/19.

(6) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1202م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ - 1989م)، 1/176.

ميادين العلم من أي نوع كان، حتى ألما بكل ما وصل إليه التفكير البشري وزادوا عليه، ولم يتخرجوا من أخذ العلم والمعرفة من غيرهم من الأمم الأخرى، ويخطأ من يظن أن الإسلام لا يدعو إلى تعليم العلوم الكونية، فقد نبه إلى النظر في كل ما خلق الله من شيء في السماء والأرض، قال تعالى⁽¹⁾: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ إضافة إلى أن الإسلام جعل مناط الإيمان في مستقبل هذا العالم إلى ازدياد العلم بهذه الحقائق، قال تعالى⁽²⁾: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

ثانياً: المدرسة البغدادية (العراقية) في العصر العباسي:

عرفت المدرسة البغدادية بكفاءة علمائها الذين اشتهروا بسعة علمهم، وتهافت طلاب العلم على حلقاتهم التدريسية رغم أن الدراسة في العراق كانت تكلف طلبة الرحلة جهداً متواصلاً ومضنياً، وبذلك يقول أبو عمران الفاسي⁽³⁾: رحلت إلى بغداد،

(1) سورة الغاشية: 20-17.

(2) سورة فصلت: 53.

(3) أبو عمران الفاسي: وهو الإمام الكبير، العلامة، عالم القيروان، أبو عمران؛ موسى بن عيسى بن أبي حاج يمحج، البربري، الغفجومي الزناتي، الفاسي المالكي، أحد الأعلام، تفقه بأبي الحسن القاسبي، وهو أكبر تلامذته، ودخل إلى الأندلس، فتفقه بأبي محمد الأصيلي، حج غير مرة، وأخذ القراءات ببغداد عن أبي الحسن الحماوي، وغيره، وكان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ الفقه إلى الحديث ومعرفة معانيه، وكان يقرأ القراءات ويجودها، ويعرف الرجال والجرح والتعديل، أخذ عنه الناس من أقطار المغرب، لم ألق أحداً أوسع علماً منه، ولا أكثر رواية؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ - 1988م، 545/17. قال ابن بشكوال أقرأ الناس بالقيروان، ثم ترك ذلك، ودرس الفقه، وروى الحديث.

وناظره وشهر باطله، وله معه مجالس كثيرة⁽⁶⁾. وكلاهما انتهل من معين العلم ببغداد، وبذلك أصبح للعراقيين علم خاص بهم تميزه المادة العلمية والمنهج، وإن كانت هذه الميزة تظهر في الموضوعات الفقهية أكثر من غيرها، حيث نالت بغداد سبقاً في تدريسها لأن استيعابها كان يتطلب جهداً كبيراً، وعمقاً في التفكير وصبراً في التتبع، والتقصي المستمر، كما يتضح ذلك في تراجم الفقهاء والأعلام كأبي عبد الله محمد بن قاسم بن سيار القرطبي (ت 328هـ / 939م)، الذي دخل العراق سنة (474هـ / 1081م)⁽⁷⁾، وأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الذي تجول قرابة ثلاث عشرة سنة في العراق ومدن الشرق⁽⁸⁾.

وما المدرسة المستنصرية التي تعد أول جامعة عراقية في العالم، جمعت فيها المذاهب الفقهية، إلا دلالة واضحة على خصوصية المدرسة العراقية وعلى مدى حرية الفكر والبحث وتسامح العلماء، ولم يكن فيها من تعصب على أي مذهب، يقول الدكتور ناجي معروف: يمكننا أن نلمس هذه الحقائق في الحرية التي كان يتمتع بها العلماء والفقهاء في الدراسة والمواد التي كانوا يدرسونها، وفي إتباعهم المذهب الذي يريدونه،

المسائل المفصلة بحرية تامة في الرأي، وقد اكتسبتهم المناظرات المفتوحة هذه خصوصية لم تتوفر في مدارس الأقطار العربية الإسلامية الأخرى⁽¹⁾.

وقد نقل الأندلسيون أنماط من الجدل والمناظرات إلى بلادهم فهذا أبو مروان عبد الملك بن العاصي بن محمد (ت 330هـ / 843م)، قد شهد في بغداد مجالس المناظرة طيلة ثلاثة أعوام حتى غدا متصرفاً في علم الرأي حسن النظر فيه⁽²⁾، وذكر القاضي عياض في ترجمته لأبي سليمان بن خلف الباجي، لما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم⁽³⁾ طلاوة إلا أنه كان خارجاً على المذهب، ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه، واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل، وحلّ بجزيرة ميورقة⁽⁴⁾ فرأس فيها واتبعه أهلها فلما قدم أبو الوليد⁽⁵⁾ كلموه في ذلك، فدخل إليه

(1) عبيد، طه خضر، الحضارة العربية الإسلامية، ط 1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ - 2012م)، 108.

(2) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (403هـ / 1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تح: د. صلاح الدين الهواري، ط 1، (المكتبة العصرية، بيروت، 1427هـ - 2006م)، 1/249.

(3) ابن حزم: وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي (ت 456/1064م)، يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً بعد الطبري، وحافظاً ومتكلم وأديب وشاعر ونسابة وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف، كما كان وزير سياسي لبني أمية؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/184.

(4) ميورقة: جزيرة تقع في شرق الأندلس، كانت قاعدة للمجاهد العامري، فتوحها المسلمون سنة 90هـ / 902م؛ ياقوت الحموي البغدادي، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، 1397هـ - 1993م)، 5/246؛ الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: د. إحسان عباس، ط 2، (مكتبة لبنان، بيروت، 1984م)، 290.

(5) أبو الوليد: هو سليمان بن خلف الباجي المتوفى (447هـ / 1082م)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمن بن يحيى، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1347هـ)، 1/1180.

(6) ابن فرحون، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 799هـ / 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: د. محمد الأحمد، (دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 2011م)، 1/380؛ المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ / 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: د. إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1388هـ - 1968م)، 68-67/2.

(7) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 45-44/2؛ الحشني، محمد بن حارث (ت 361هـ / 971م)، أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويسا، (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م)، 171.

(8) المقرئ، نفح الطيب، 2/67-69.

إنها بغداد بقيت، ومدن العراق الأخرى طوال العصر العباسي، تشكل مركز استقطاب لطلبة العلم من مختلف أنحاء العالم، وبضمنهم أهل الأندلس، حتى أصبح من ينال إجازة علمية على أيدي علماء العراق، تغمره الثقة بالنفس، والاعتزاز والتفاخر على من سواه من أقرانه.

وبعد ما سبق ذكره، سهل توضيح الأهداف والدوافع التي من أجلها قصد علماء الأندلس، وطلبة العلم العراق، وفي مقدمة ذلك:

1. قصد فقهاء وعلماء الأندلس إلى توثيق علومهم وتزكيتهما عملاً⁽⁶⁾.

2. العلماء الذين قصدوا مكة لأداء فريضة الحج، انتهلوا من علم علمائها، وسمعوا من محدثيها، وأخذوا الفقه على أيد أئمتها، ومن ثم انتقلوا إلى العراق لكسب الزيادة العلمية والمعرفية المتميزة في هذا البلد، ومنهم أبو محمد قاسم بن اصبح البياتي (ت340هـ/951م)، الذي رحل إلى المشرق، فقصد مكة، وأدى فريضة الحج، وسمع بها من محمد بن إسماعيل الصائغ وغيره، ثم دخل بغداد وسمع بها⁽⁷⁾، لذلك يعد الحج أول العوامل المساعدة على ظهور العلاقات بين الأندلس والمشرق.

3. العمل التجاري دفع بالتجار أن يسافروا نحو المشرق مصطحبين معهم أبناءهم للتزود معا بعلوم المشرق، وما يلقي في حلقات الدرس، حيث رحل أبو العلاء عباس بن ناصح الثقفي الشاعر مع أبيه صغيراً،

(دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ - 2000م)، 4/ 124؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، (دار ابن كثير، بيروت، 1408هـ - 1988م)، 7/ 332.

(6) المقرئ، نفح الطيب، 2/ 119.

(7) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 318؛ المقرئ، نفح الطيب، 2/ 47؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، 2/ 165.

وفي الإصرار على الأخذ بآرائهم دون الخضوع للحكومة⁽¹⁾....، وهذا لا يقلل من دقة المنهج العلمي بالنسبة للموضوعات الأخرى، فأحمد وأخوه عمر ابنا يونس بن أحمد الحراني رحلا إلى المشرق، ودخلا بغداد، ودرسا فيها الطب على أشهر أطبائها، أمثال ثابت بن سنان بن ثابت حيث قرءا عليه كتاب جالينوس، ودرسا أمراض العين على ابن وصيف الطبيب البغدادي، ثم انصرفا إلى الأندلس بعد عشرة أعوام، ودخلا في دولة المستنصر سنة (351هـ/961م)⁽²⁾.

أما أبو عبد الله محمد بن عبدون العذري أنفق وقتاً طويلاً في دراسة الطب أثناء رحلته إلى العراق التي استغرقت أكثر من (23 سنة)، وعاد بعدها إلى بلاده سنة (360هـ/970م)، وهو طبيب لا يجارى، قال عنه صاعد: (تمهر في الطب ونبل فيه، وأحكم كثيراً من أصوله، وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة)⁽³⁾، ودرس محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي، الكيمياء التطبيقية في العراق سنة (598هـ/1201م)، وقال: أعرف الكيمياء بطريقة المنازلة لا بطريق الكسب⁽⁴⁾، وأبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي الضريير (ت639هـ/1241م) قصد بغداد لدراسة علم الحساب رغم عاهته في العمى، وأصبح فيه إماماً⁽⁵⁾.

(1) تاريخ علماء المستنصرية، ط1، (مطبعة العاني، بغداد، 1379هـ - 1959م)، 43.

(2) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: د. نزار رضا، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت)، 487-486؛

(3) ابن جلجل، أبوداود سليمان بن حسان (ت377هـ/987م)، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد رشيد، ط2، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ - 1985م)، 113-112.

(4) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، 115.

(5) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، ط1،

لهم رحلة ، وأتيحت لهم الفرصة للقاء العلماء والأخذ عنهم⁽⁴⁾، بل يعاب لما لحقه من نقص في مكانته العلمية، أي إن من كابد الصعاب، وتحمل المشاق في سبيل التزود بالعلم، واتساع معارفه لا يمكن أن يرتقيه ممن اكتفى بالقليل، ولم تكن له رحلة إلى المشرق⁽⁵⁾، ولقد كثرت رحلات أهل الأندلس إلى المشرق سيما في موسم الحج للتفقه في الدين على يد علماء الحجاز والشام والعراق، لقد كانت لحضارة بغداد في العصر العباسي تأثيرها الكبير في مختلف الميادين، ومن ثم امتدت إلى بلاد الأندلس عبر بلاد المغرب، وأثرت بشكل كبير من خلال الرحلات العلمية بين بغداد وبلاد الأندلس، وسعى أمراء الأندلس بدعوة المفكرين وأهل العلم بالقدوم إلى الأندلس، وأرسلوا طلاب العلم إلى بغداد ليتعلموا على أيدي علمائها، فنقلوا التطور الحضاري من بغداد إلى بلادهم الأندلس عند عودتهم في جميع أصناف العلوم والمعرفة، كذلك شراء الكتب النفيسة بأعلى الأثمان، قبل أن توجد في أسواق بغداد، فالخليفة الأموي الحكم المستنصر (ت366هـ/976م)، الذي كان مهتما بجمع الكتب النفيسة، والذي أرسل بألف دينار إلى أبي فرج الأصفهاني (ت356هـ/967م)، مقابل أن يرسل له كتاب الأغاني قبل أن يعرفه أهل بغداد⁽⁶⁾، ومن أهم الكتب التي انتقلت من بغداد إلى قرطبة كتاب (السند هند)⁽⁷⁾، الذي من خلاله

(4) ذنون، طه عبد الواحد، دراسات أندلسية، 191؛ رستم، الكتب المشرقية، 9.

(5) ابن خلدون، المقدمة، 2/ 168.

(6) دياب، حامد الشافعي، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1، (دار قباء، القاهرة، 1998م)، 70.

(7) كتاب السند هند: هو أحد المذاهب الثلاثة المشهورة للهند في علم النجوم، وهذا المذهب هو الذي تقلده جماعة من علماء الإسلام، وألفوا فيه الأزياج، وفي طبقات الأمم أن السند هند معناه (الدهر الداهر)؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: مفيدة قميحة وآخرون، ط1، (دار الكتب

فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالباً للغة العرب، ثم رحل به أبوه إلى العراق، فلقى الأصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة، وعاد إلى الأندلس⁽¹⁾.

ثالثاً: الصلات العلمية والثقافية بين الأندلس وبغداد
لقد اتجه الأندلسيون إلى المشرق الذي كان قد سبقهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة، ومنها العلم، وإن تطور الحركة العلمية والثقافية في الأندلس يرجع إلى الاستقرار السياسي والأمني الذي ساد منذ تأسيس الإمارة الأموية، وإلى ظاهرة تأثر الأندلسيين بالمشرق، ورغبة أمراء الأمويين في بعث ماضي البيت الأموي بدافع الشوق والحنين إلى المشرق العربي مركز الخلافة الأموية، ومهد تاريخهم وحضارتهم التي أقامها الأمويون في دمشق⁽²⁾.

لقد لعبت الصلات الثقافية غير الرسمية بين الأندلس والمشرق دوراً مهماً في النهضة العلمية في بغداد ودمشق، رغم التنافس الشديد بين العباسيين في المشرق، وبين الأمويين في الأندلس، فإن الأواصر الثقافية لم تنفصل، فالأمير هشام (172-180هـ/788-796م) قام بإرسال العلماء إلى المشرق، ومن ثم العودة إلى الأندلس حاملين معهم الكتب والمصنفات في مختلف المجالات⁽³⁾.

يرى علماء الأندلس أن الرحلة إلى المشرق، ولقاء شيوخه وعلمائه، والأخذ عنهم فخرا لهم بين علماء بلدهم، أما من بقي في وطنه واكتفى بتلقي العلم على علماء بلده دليلاً على حرمانه مما ناله غيره ممن كانت

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 265.

(2) رستم، محمد، الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس، 9-10؛ يوسف، عواطف، الرحلات المغربية الأندلسية، 71.

(3) الفيومي، محمد تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، (دار الجليل، بيروت، 1997م)، 54.

الأندلس كالطب والصيدلة، وقد امتزج علم الطب والصيدلة، ومن أشهر علماء الطب، ابن جليل (ت384هـ / 994م)، وله كتاب مشهور (طبقات الأطباء والحكماء)، ويعتبر ابن البيطار المالقي (646هـ / 1248م)، من أشهر علماء الصيدلة والنبات، وله كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، الذي يحتوي على مجموعة من العلاجات المستمدة من عناصر الطبيعة مرتبة على حروف المعجم⁽⁴⁾.

ولقد تمكن علماء الطب في الأندلس من اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، وإيقاف النزيف من الشرايين، واستخدام الخيوط من أمعاء الحيوانات للعمليات الجراحية، وتطهير الأدوات قبل العملية، وتخدير المريض لتجنب الألم، كل ذلك كان من ابتكارات العالم الأندلسي (الزهرابي)، ومن أشهر كتبه التصريف لمن عجز عن التأليف والذي يقع في (30 جزء)، والذي يعد موسوعة في الطب، حيث اعتمد في جامعات أوروبا، لتعلم الطب وممارسته على ما يزيد عن خمسة قرون⁽⁵⁾.

وأما في مجال علم الفلك فقد اشتهرت الأندلس في مراقبة رصد الكواكب، وحركات النجوم، وكان مسلمة المجريطي (397هـ / 1007م) أشهرهم في ذلك، ومنهم إبراهيم بن يحيى الزرقالي (493هـ / 1099م) الذي اخترع الآلات النجومية بصناعة الاضطراب، وأما علم الرياضيات والهندسة فقد احتل مكانة متميزة بين العلوم في الأندلس، ومن أشهرهم ابن السمع (ت426هـ / 1034م)⁽⁶⁾، ومثلما تقدم علماء الأندلس في

أدخلت الأرقام العربية إلى الأندلس⁽¹⁾، لقد تأثر علماء الأندلس بعلماء العراق من خلال نتاجاتهم المعرفية والثقافية، نظرا للمكانة التي توصلوا إليها من تطور حضاري في بغداد كعلم الطب، فقد أدخلوا كتاب (المنصوري) للرازي (ت313هـ / 925م)، فأثر تأثيراً كبيراً في الطب الأندلسي، كذلك دخلت كتب اللغة والأدب مثل: العين والعروض لأحمد بن خليل الفراهيدي (ت170هـ / 786م)، الذي استقبل بحفاوة كبيرة من قبل أمراء الأندلس لأهميته الأدبية، كذلك حدث تأثير عراقي في مجال الفلسفة في الأندلس، من خلال مؤلفات الكندي (ت256هـ / 873م) والتي وصلت الأندلس⁽²⁾، إلى جانب رحلة أكبر المفكرين العراقيين من بغداد إلى الأندلس، أمثال: أبو علي القالي (ت356هـ / 966م)، الذي استقبل بحفاوة وتكريم من قبل أمراء الأندلس، كذلك رحلة زرياب إلى الأندلس الذي أدخل إلى قرطبة الكثير من الابتكارات الجديدة، كلعبة الشطرنج، واستعمال أقذاح الزجاج بدل أقذاح الذهب والفضة على موائد الطعام، واختيار الملابس حسب فصول السنة، وعادات آداب الطعام، وبذلك أحدث نقلة اجتماعية متطورة في المجتمع الأندلسي⁽³⁾.

لقد تميزت الأندلس بالإنتاج العلمي، والازدهار الثقافي، وأصبحت واحدة من أهم المراكز الثقافية في العالم الإسلامي، وتميزت بجذبها لطلاب العلم، ومنافستها لبغداد، ولقد تطورت العلوم العقلية في

العلمية، بيروت، 1424هـ - 2004م)، 14 / 250.

(1) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 313 - 314.

(2) عبد الحميد، محسن عبد، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، (الرشيد، بغداد، 2001م)، 140.

(3) ابن جليل، أبي داود سليمان بن حبان الأندلسي (ت384هـ /)، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م)، 63.

(4) ابن جليل، طبقات الأطباء، 63.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، 303؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين بن العباس (ت668هـ / 1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: محمد باسل عيون، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م)، 451.

(6) ابن السمع الغرناطي هو أبو القاسم أصبغ بن محمد تعلم في قرطبة، ثم انتقل إلى غرناطة، ونال شهرة عظيمة في علم

المبحث الثاني :**انتقال الحضارة البغدادية إلى الأندلس**

أولاً: عوامل انتقال حضارة بغداد إلى الأندلس: لقد تجمعت عدة عوامل أدت إلى انتقال حضارة بغداد إلى الأندلس، أهمها :

1- رحلة أهل الأندلس في طلب العلم .

قام العديد من طلاب العلم وعلماء الأندلس بالرحلة إلى بغداد حاضرة العالم الإسلامي للتزود بالعلوم والمعرفة من منابعها، وقد أمضى بعضهم سنوات طويلة من أجل هذه المهمة، و انفق الكثير منهم القسم الأكبر من ثرواتهم في شراء الكتب التي حملوها إلى الأندلس، إضافة إلى إن البعض منهم حمل العلم روية في الصدر⁽⁵⁾، ومن هؤلاء العلماء عالم الحديث المشهور (محمد بن وضاح) الذي درس على أيدي كبار علماء الحديث في بغداد ومن أشهرهم (أحمد بن حنبل)⁽⁶⁾.

1. التجار: فتحت الأندلس أبوابها أمام التجار المشاركة، خاصة في عصر عبد الرحمن الأوسط (-206 / 238 هـ / 852-822 م)، فبجانب السلع والبضائع إلى الأندلس نقلوا معهم بعض الكتب العلمية و باعوها في الأندلس، حيث اقبل على شرائها علماء الأندلس، واستفادوا منها في تنمية الحركة العلمية⁽⁷⁾.

2. هجرة علماء العراق إلى الأندلس : لقد هاجر بعض علماء العراق إلى الأندلس نتيجة الاضطرابات التي تعم العراق، أو من أجل الحصول على مكانة مرموقة في الأندلس، أو بسبب الفاقة والعوز، أو للاطلاع على أحوال الأندلس، ولقد لقوا الترحاب و

العلوم العقلية، أشتهروا في العلوم الإنسانية، ففي ميدان الفلسفة حاولوا الدمج بين الحكمة الفلسفية والدين الإسلامي، فكان ابن باجة (ت 533 هـ / 1138 م) أول مفكر أندلسي استطاع استيعاب الكتابات الفلسفية، التي ظهرت في المشرق، ومن أشهر كتبه (رسالة الوداع)⁽¹⁾، وابن رشد (ت 595 هـ / 1198 م)، وله كتاب مشهور (تهافت التهافت)⁽²⁾، وفي علم التاريخ أشتهر أبو مروان عبد الملك بن حبيب (ت 238 هـ / 852 م)، وابن الخطيب الغرناطي (ت 776 هـ / 1313 م)، وأشهر كتبه (الإحاطة في أخبار غرناطة)⁽³⁾، وفي العلوم الإسلامية تفوق علماء الأندلس في علم القراءات، أمثال أبي عمر عثمان بن سعيد (ت 444 هـ / 1052 م) وأشتهر أبو عبد الرحمن بن مخلف (ت 276 هـ / 889 م) بعلم الحديث⁽⁴⁾.

الهيئة وحركات النجوم ؛ الدفاع ، علي عبد الله ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية الإسلامية ، (د.ت) ، 84 ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، 453 .

(1) أبو عبيد، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية - دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 م)، 880 / 2 .

(2) أبو عبيد ، الحضارة الإسلامية ، 2 / 880 .

(3) السلمي الأندلسي ، عبد الملك بن حبيب (238 هـ / 852 م)، كتاب التاريخ ، اعتنى به : عبد الغني مستو ، ط 1 (المكتبة العصرية ، بيروت ، 1429 هـ - 2008 م)، 139 .

(4) ابن الفرزي ، تاريخ علماء الأندلس، تح: صلاح الدين الهواري ، ط 1 ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 م)، 6 / 2 ؛ أبو عبيد، الحضارة الإسلامية ، 2 / 831 .

(5) عبيد، يوسف، النشاط المعجمي في الأندلس، ط 1 ، (دار الجليل ، بيروت، 1412 هـ - 1992 م)، 33 ؛ أمين، محمد، ظهر الإسلام، (القاهرة، 1962 م)، 3 / 23 .

(6) ابن الفرزي، تاريخ علماء الأندلس، 1 / 219 ؛ 2 / 15 .

(7) بدر، أحمد، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، (دمشق، 1972 م)، 1 / 184 ؛ أمين، ظهر الإسلام، 3 / 33 .

النحوي الإخباري، كان من أروى أهل زمانه للشعر الجاهلي، وأحفظهم له، صاحب التصانيف، مولى عبد الملك بن مروان، دخل بغداد سنة (303هـ/915م)، وأقام بها حتى سنة (328هـ/939م)، حيث خرج من بغداد قاصدا الأندلس، وقد مر بمصر، ثم بلغ المغرب، ووصل إلى الأندلس سنة (330هـ/941م)، واستوطن قرطبة، وتوفي بها سنة (356هـ/966م)⁽⁴⁾، ومن تصانيفه (الأمالى) و(المقصود والممدود)، رتبه على التفصيل، ومخارج الحروف من الحلق⁽⁵⁾، وكان إماما في علم اللغة، متقدما فيها فاستفاد الناس منه⁽⁶⁾.

4) رحلة الكتب: لم تتوقف الرحلة العلمية على العلماء من المشرق إلى الأندلس، فقد شهد العصر العباسي حركة واسعة في انتقال الكتب المؤلفة والمستنسخة، من بغداد إلى الأندلس وبالعكس أيضاً، وقد شجع هذه الظاهرة العلماء والحكام على حد سواء، ودفعوا من أجل الحصول عليها، وتوفيرها مبالغاً طائلة في اقتنائها، خاصة في عهد أمرائها الأعلام، أمثال: عبد الرحمن الثاني (238-206هـ/852-822م)، الذي عرف بثقافته الواسعة، وعلمه الغزير، فقد أرسل إلى المشرق في طلب الجزء الناقص من كتاب (العروض) للخليل بن أحمد الفراهيدي⁽⁷⁾.

الرعاية و حضوا باهتمام كبير من قبل الأمراء، فعلماء يرحلون إلى الأندلس بعد أن يضيق بهم الشرق من الفاقة، و علماء الأندلس يعوزهم العلم فيرحلون إلى المشرق⁽¹⁾، ومن هؤلاء العلماء الذين دخلوا الأندلس:

● أبو العباس طاهر بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن موسى (ت390هـ/999م): من أهل بغداد، والمعروف بالمهند، يقال انه من ولد احمد بن أبي طاهر صاحب (تاريخ بغداد)، كان أديباً شاعراً متقدماً، ومن شعراء الدولة العامرية، دخل الأندلس ووفد على المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، توفي في قرطبة في سنة (390هـ/999م)، و دفن بمقبرة الرض.

● القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيزون⁽²⁾ بن هارون البغدادي ولد سنة (288هـ/900م)⁽³⁾، اللغوي

(1) عبيد، النشاط المعجمي في الأندلس، 33.

(2) وذكره الضبي بلفظ عبدون؛ بغية الملتبس، 1/284.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/76؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط1، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1983م)، 1/374؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/290؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ - 1985م)، 2/97؛ الحموي البغدادي، معجم البلدان، 4/300-299؛ ابن كثير، الحافظ الدمشقي (ت774هـ/1372)، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، 1412هـ - 1991م)، 11/264؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط15، (دار العلم للملايين، بيروت، 2002م)، 11/321-322؛ الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (دار المعارف، مصر، 1392هـ - 1973م)، 121؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 16/227؛ ابن خلكان، أبو بكر أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1972م)، 1/226-227؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت624هـ/1248م)، أنباء الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1406هـ - 1986م)، 1/239-244.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/193.

(5) كحالة، معجم المؤلفين، 1/375-374؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 9/114-115؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن بن فتوح (ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: د.بشار عواد معروف، ط1، (دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ - 2008م)، 231-233.

(6) الضبي، بغية الملتبس، 1/282-283.

(7) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، (دار النهضة العربية، بيروت، 1971م)، 263؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، 2/49.

يسر وسهولة، فتلقبوا بألقابهم كقطب الدين، ومحي الدين، إلى غير ذلك من الكنى والألقاب، فقد تلقب ابن عربي محمد بن علي (ت 560هـ / 1164م) بـ (محي الدين)⁽³⁾، ولقب أبو الحسن محمد بن سهل الأندلسي بـ (سعد الخير)⁽⁴⁾.

ثانياً: لقد لقب الكثير من الوافدين إلى بغداد بالبغداديين: خاصة الذين عرفوا بطول إقامتهم في بغداد، ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الجياني (ت 546هـ / 1151م)، حيث يشير إلى ذلك المقرئ في ترجمته له قائلاً: ويعرف بالبغداديين لطول سكناه إياها⁽⁵⁾، فلا غرابة أن تنعت قرطبة البهاء والعظمة بـ (بغداد الثانية)، بل سعى ملوك الطوائف إلى تحويل عواصمهم الأندلسية إلى بغدادات صغيرة كثيرة⁽⁶⁾، ومنهم من دخل العراق، واستقر حتى وفاته، فأبو عبد الملك بن مروان بن عبد الملك بن مروان الشذوني الذي دخل العراق، واستقر بالبصرة حتى وفاته سنة (330هـ / 940م)⁽⁷⁾، وكذلك أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد العمري السرقسطي الذي دخل بغداد والبصرة واستقر في العراق حتى توفي (392هـ / 1002م) في الدينور⁽⁸⁾.

أما عبد الرحمن الناصر (350-300هـ / 912-961م) فكان له دور كبير في انتشار الكتب المشرقية في الأندلس، وخاصة كتب الطب والعلوم، وهذا ما أشار إليه ابن جليجل أنه في عصر دولة الناصر دخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم، فاجتمع منها ما لم يجتمع لأحد من الأمراء قبله حتى بلغت مكتبته بقرطبة (400) أربعمئة ألف مجلد، أدرجت في (44) أربع وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرين ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين، وقيل أنه استقدم من بغداد عدداً من النساخ والمجلدين والمزخرفين الذين كانوا يعملون تحت إشراف موظف موهوب من حاشيته⁽¹⁾.

خامساً / الرحلة العلمية وأثرها في الحياة الاجتماعية
لقد وفدت أعداد كبيرة من طلاب الأندلس على العراق، وتعددت فيها الوسائل والأهداف العلمية البحتة، وقد خلقت احتكاكاً اجتماعياً وثقافياً بين بغداد والأندلس، تبادلت من خلالها القيم والتقاليد والعادات، وتفاعلت المعارف والثقافات، وتركت آثارها في مسيرة المجتمع البغدادي، ونقلها الطلبة الأندلسيون إلى بلادهم بعد استكمال تعليمهم في بغداد، وذلك من خلال الآتي⁽²⁾:

أولاً: الاندماج بالحياة البغدادية : ظاهرة اندماج طلاب الأندلس بالحياة البغدادية تدل على وحدة الترابط الاجتماعي بين المسلمين في جميع بلدانهم المشرقية والمغربية، لقد كان طلاب الرحلة يتكيفون بسرعة لأجواء الحضارة البغدادية، ويندمجون معها

(1) ابن جليجل، طبقات الأطباء، 97؛ شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 10، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995م)، 87.

(2) رضا، محمد سعيد، الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي خلال الرحلات العلمية، ط 1، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991م)، 64.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 4 / 124.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب، 5 / 129.

(5) نفح الطيب، 2 / 212؛ ابن الجوزي، شمس الدين يوسف والمعروف بسبط ابن الجوزي (ت 654هـ / 1256م)، مرآة الزمان وأخبار الأعيان، تح: 2 / 698؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3 / 121.

(6) بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، ط 1، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د-ت)، 45.

(7) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، 1 / 112؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 507؛ الضبي، بغية الملتبس، 2 / 614.

(8) الضبي، بغية الملتبس، 2 / 646؛ الذهبي، العبر، 2 / 183.

الحضاري الذي وصلت إليه بغداد آنذاك ، لقد صقلت الرحلات شخصيتهم العلمية والاجتماعية، وعمقت فيهم الإرادة والقدرة على الصبر، والمثابرة ووثقت حبال المودة في نفوسهم، بحيث أصبحت بغداد خالدة في ذاكرتهم ومشاعرهم ، يتباهون بحلقاتها التدريسية، ومجالسها الأدبية، ومناظراتها العلمية الزاخرة، ويستأنسون بحركاتهم اليومية في حياتهم الاعتيادية، التي ألفوها مع المجتمع البغدادي المتحضر في إطار الأخوة التي تجمع بين بغداد والأندلس .

المبحث الثالث:

أثر الحضارية البغدادية على الحضارة الأندلسية

شهدت الأندلس في عصر الولاة ثورات واضطرابات وفتن اشغلها عن الاهتمام بالحياة العلمية، لكن تغيرت الأحوال في ظل عصر الإمارة ، فشهدت الاستقرار خاصة في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، حيث شهدت الأندلس في ظل ذلك ازدهارا حضاريا ، فأصبحت نموذجا للمستوى الحضاري الراقي الذي بلغته بغداد حاضرة الخلافة العباسية في المشرق ، لذلك نوضح أثر المدرسة العراقية في حياة الأندلس الفقهية والأدبية والعلمية والفنية والاجتماعية .

1. تنظيم قرطبة وفق تنظيم بغداد :

يرجع الفضل في تنظيم قرطبة على النظام العباسي إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط (207هـ - 238هـ / 821-852م)، ولكي لا يبقى أمير قرطبة دون خلفاء بغداد، وكان يعرف الكثير عنهم، وعن نظم الدولة العباسية، ومرافقها في تناسقها، وتشابكها من خلال الأوصاف جاءت بها عيونهم أثر عودتهم من المشرق، احتذى نهجهم دون أن يجعل في العداوة التقليدية بين الأسرتين عائقا يحول بينه وبين السير على خطاهم ، أو ينفر من تقليدهم، لذا فإن الإدارة في قرطبة في خطوطها الرئيسية على

ثالثاً: وقد مارس بعض طلاب الأندلس أعمالاً يومية فمنهم من زاول المهن العامة ، وانخرط في نقاباتها الحرفية ، فأبو عبد الله محمد بن عبدون القرطبي مارس مهنة الطب على يد أبي سليمان محمد بن محمد بن طاهر السجستاني البغدادي حتى برع فيه⁽¹⁾، والقاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف مارس جملة من الأعمال خلال مدة إقامته ببغداد سنة (426هـ / 1034م)، وولي القضاء في بعض قصبات العراق، واستؤجر في مدة إقامته ببغداد لحراسة درب من دروبها، فكان يستعين بإجارته على نفقته، وبضوئه على مطالعته⁽²⁾.

لقد عرفوا بسرعة تطبعهم بأخلاق أهل المشرق، ويذكر القاضي عياض عن أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى القرطبي (حج) ولقي الناس بالمشرق، فتخلق بأخلاقهم⁽³⁾.

وهذا الاندماج العلمي يؤكد قدرة أهل الأندلس في كسب الخبرة، والمهارة الفنية بفترات قياسية، وبكفاءة فائقة، وفي التكيف للبيئات الاجتماعية التي ينزلون فيها ، ويتعايشون معها ، وبذلك نالوا احترام المجتمع العراقي لهم، وحظوا بمكانة مرموقة في الأوساط العلمية، والاجتماعية البغدادية ، وهي مكانة نابعة من اهتمام أهل بغداد بالعلم وأهله ، ويتناسب مع المستوى

(1) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658هـ / 1260م)، التكملة لكتاب الصلة ، تح: د. عبد السلام الهراس، (دار الفكر، بيروت ، 1415هـ - 1995)، 1 / 592 ؛ الذهبي، العبر ، 2 / 332.

(2) ابن بشكوال ، أبو القاسم (ت 578هـ /) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، تح: د. بشار عواد معروف ، ط1، (دار الغرب الإسلامي، تونس ، 2010م)، 1 / 276 ؛ ابن سعيد ، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ / 1286م)، المغرب في حلل المغرب، تح: شوقي ضيف، ط4 ، (دار المعارف، القاهرة ، مصر، 2009م)، 1 / 404.

(3) عياض، ترتيب المدارك ، 8 / 143 ؛ ابن بشكوال ، الصلة، 1 / 434.

المنصور في بغداد ، وكذلك قصور المعشوق ، والمختار والبدیع ، وكلها أسماء قصور عباسية أطلقها الأمويون على قصورهم في الأندلس⁽²⁾ .

2. التنظيمات الإدارية :

لم يترك أهل الأندلس وسيلة يمكنهم بها الاستفادة من التقدم الحضاري في العراق إلا واستغلوها، وما يتعلق بالنظم الإدارية، والتقاليد الحضارية فهي امتداد للنظم الإدارية للدولة الأموية في الشام ، والتي عدّها مؤسسها عبد الرحمن الداخل، لأنه لا يمكن أن يدخل وريث البيت الأموي أيه تقاليد، وأعراف ونظم غير تلك التي سار عليها آباؤه وأجداده، فقد وجد نفسه من الواجب عليه، أن يسير على خطاهم بصفته الوريث الشرعي لأولئك الحكام في كيفية تنظيم دولته ، وظلت تلك النظم والتقاليد سائدة حتى عصر عبد الرحمن الأوسط (الثاني) الذي يوصف بأنه على مستوى رفيع من الثقافة والعلم، لذلك كان على استعداد لمسايرة التطورات التي حدثت في نظم الدولة العباسية، واقتباسها ليكون مسايرا للتقدم الذي طرأ على العالم الإسلامي أيام حكم العباسيين دون أن يرى في العداوة التقليدية بين أسرته ، وبني العباس أي عائق يحول دون أخذه هذه التقاليد، وكان شغوفاً بسماع أخبار هذا التطور والتقدم، وعن الأحوال والتراتب الحضارية في بلاط العباسيين من رجاله العائدين من بغداد⁽³⁾ ، لذلك فإن تنظيم دولة الأندلس على ما كانت عليه بغداد يعود إلى عبد الرحمن الثاني، وليس لأحد أحفاده

الأقل قامت منذ النصف الأول للقرن الثالث الهجري على أسس منقولة مباشرة من نظام الإدارة العباسية، وهو نفس ما حدث في تنظيم خدم الأمير، وقد أنشأ الأمير في قرطبة تشبهاً بالعباسيين دار سك العملة، واستخدم الخاتم الرسمي، وأسس دار الطراز، تقوم على تنظيم مصانع النسيج التي تنتج السجاد والأقمشة، وكانت هذه تعدل من كل الوجوه أجل أنواع النسيج المشرقي في العصور الوسطى، وما أضافوه إليها لا يعدو التعديل، والتحسين، وإن كان فيما بعد ستأخذ طابعا أندلسياً خالصاً، لكن في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، وخلال العشرات السنين الأولى التي تلت حكمه، فإن هذا التقليد لم يقدم أي اتجاه أصيل، إنما بقي كما هو وعلى نحو ما تلقاه الأندلس من المشرق، ويذكر المؤرخ أحمد الرازي معلومات ذات أهمية كبيرة عن الدور الذي لعبه المشرق الإسلامي في تكوين الثقافة الأندلسية من خلال القرن التاسع الميلادي، فكل ما يجيء من بغداد، أو المدن الأخرى تستقبله الأندلس بإعجاب وبتقدير واحترام على الأقل، ويعد وجود زرياب في الأندلس من أقوى الأسباب في ردّ الأندلس إلى المشرق من جديد⁽¹⁾ .

لقد استفادت الأندلس من التطور الذي حصل على فن البناء العراقي، سواء بالأساليب المتنوعة، أو استعمال مواد البناء، وما يتعلق بهذا الفن المعماري، وتخطيط الأبنية خاصة قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، هذه القصور التي أخذت خططها من صور سامراء وبغداد، مثل قصور الزهراء والزاهرة التي شيدها حكام قرطبة في هذه المدينة العظيمة ، بل حتى أسماء قصور الخلافة في الأندلس كانت مأخوذة من قصور الخلافة في العراق، فقصر التاج هو الاسم نفسه الذي سمي به قصر

(2) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م، 440.

(3) الراشد، التأثيرات العراقية، 60-59؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعير، (مؤسسة هنداو للتعليم والثقافة، مصر، 2012م)، 289؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م)، مج 2/1/29.

(1) بروفنسال، ليفي، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: د. الطاهر أحمد مكي، ط3، (دار المعارف، مصر، 1414هـ- 1994م)، 64-63؛ الحضارة العربية في الأندلس، 65-67.

3. الناحية الفقهية :

يمكن أن يكون العالم الفقيه بقي بن مخلد (ت276هـ / 889م)، خريج المدرسة العراقية، وتلميذ الإمام أحمد بن حنبل المميز والجاري في مضمار البخاري، ومسلم والنسائي⁽⁴⁾، دليل لتأثير المدرسة العراقية الفقهية في بلاد الأندلس، فقد عرف عن ابن مخلد أنه لم يتقيد بمذهب بذاته، وأنه من مفسري الطبقة الأولى للقرآن الكريم، وكانت له مناظرات مطولة مع فقهاء المالكية الذين استباحوا دمه بسببها لولا تدخل الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت273هـ / 886م) الذي طلب منه الحضور إلى مجلسه، وأن يحضر معه الكتاب الذي يتهم به من قبلهم، وهو (مصنف أبي بكر بن أبي شيبة)، كتاب فقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل كان يقرأ منه على الناس، ولما قرأ الأمير الكتاب، وناقش في بعض محتوياته ابن مخلد قال لخازن كتبه: انسخ لنا صورة فخرائنا لا يمكن أن تستغني عن مثل هذا الكتاب، وقال لابن مخلد: انشر علمك وارو ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك⁽⁵⁾.

لذلك استمر بقي في تدريس الفقه على أعمال الري، وفسر القرآن تفسيراً نال ثناء ابن حزم وغيره من العلماء، ووضع في الحديث مسنده الذي لم يرق إلى

الذين حكموا من بعده، لقد أصبحت النظم الإدارية في قرطبة صورة طبق الأصل من نظم بلاط الخلافة العباسية ببغداد، فمن الأمور التي أمر بإدخالها في مرافق دولته هي استعمال الخاتم الرسمي، وتأسيس دار الطراز، وأنشأ دار سك النقود⁽¹⁾، فكان من الطبيعي أن تشهد هذه الحقبة تراجعاً للتقاليد الشامية لتفسح المجال أمام التقاليد العراقية أن تحل محلها لأنها أكثر منها تقدماً، وملائمة للظروف السائدة في الأندلس، وكان عبد الرحمن الثاني مقتنعاً بأن هذا التقليد يعطي صورة الدولة المتقدمة، وهو بذلك يضخم ملكه، ويصطنع مظاهر السلطان، ويضفي صبغة العظمة على دولته حتى تكون قرطبة في وضع تستطيع أن تضاهي بغداد، ويظهر الأمير عبد الرحمن بمظهر الحاكم المهاب الجانب لذلك كان يسرع بإصدار الأوامر لإنشاء المؤسسات الرسمية، فقد أمر بتنظيم مراتب الخدمة كما كان متبعاً في بغداد، وبدأ باتخاذ الموظفين الكبار لمساعدته في تسيير أمور الدولة فاتخذ الوزراء والكتاب والحجاب، وأسس جهازاً للشرطة للإشراف على الأسواق وأمن المدينة، وأما عن صيغ التقاليد التي كانت متعلقة بأمور الاستقبال وآدابه، وإظهاره بمظهر العظمة فقد جعلها مشابهة إلى حد كبير لما كان متبعاً في قصور بني العباس الرسمية⁽²⁾، ومن ذلك منح وزيره (أحمد بن شهيد) لقب ذي الوزارتين، وهو مشابه للقب الذي منحه المأمون العباسي لوزيره (الفضل بن سهل) وسماه (بذي الرئاسةين) لجمعه رئاسة الحرب، ورئاسة التدبير⁽³⁾.

(مؤتمر التاريخ/ بغداد - 1975م)، 7؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا المسلمة، 32؛ الجهشباري، محمد بن عبدوس (ت331هـ / 943م)، الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط1، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1357هـ - 1938م)، 316.

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ / 1505م)، طبقات الحفاظ، مراجعة: لجنة من العلماء، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1983م)، 281-282؛ الضبي، بغية الملتبس، 1/ 301-303.

(5) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 94؛ الضبي، بغية الملتبس، 1/ 36.

(1) بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 1/ 2/ 29؛ الحضارة العربية في إسبانيا، تر: د. الطاهر أحمد مكي، ط3، (دار المعارف، مصر، 1414هـ - 1994م)، 62.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان وآخرون، ط2، (دار الثقافة، بيروت، 1400هـ - 1980م)، 2/ 91-92؛ الراشد، التأثيرات العراقية، 60-61؛ بروفنسال، حضارة العرب، 46-47.

(3) سالم، عبد العزيز، التأثيرات العراقية في الأندلس، مقال

رتبته أحد، وإذا أخذ بنظر الاعتبار عدد من أخذ عنه في الأندلس الذين تجاوزوا (284) شخصاً، عرف عظم الثروة العلمية التي نقلها إلى الأندلس، والتي تمثل جانباً من تأثيرات المدرسة الفقهية العراقية⁽¹⁾، وما حدث مع بقي بن مخلد حدث أيضاً مع ابن حزم صاحب المذهب الفقهي الظاهري في الأندلس بعد عودته من رحلته العلمية من العراق، وعندما أحرق الأمير المعتضد بن عباد⁽²⁾ كتبه مجارة لرغبة أولئك الفقهاء، قال: أن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي تضمنه القرطاس إذ هو في صدري يسير حيث استقلت ركائبي وينزل أن أنزل، ويدفن في قبري، وذكر ابن بسام قوله الشعر⁽³⁾:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل أن أنزل ويدفن في قبري

لكن مع بسط ورسوخ الأمن والاستقرار في عصر الخلافة الأموية في القرن الرابع الهجري، بدأ التفكير الحر يتخلص من القيود المفروضة عليه، وبدأت الفلسفة

تتطور مما أدى إلى ظهور أمثال ابن ماجه، وابن طفيل، وابن رشد خاصة على عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي شبه بالمأمون العباسي في نبوغه وحبه للعلم، وفي تشجيعه للعلماء والمؤلفين في مختلف العلوم، وتعزيزه لجهود المدرسة العراقية⁽⁴⁾، باستدعائه الحاذقين من طلاب الرحلات في العراق للعودة للأندلس لتوظيف كفاءاتهم العلمية المكتسبة من العراق في بناء نهضة الأندلس، كما حصل لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي العالم المحدث الفقيه صاحب كتاب (الدلائل على المسائل)⁽⁵⁾، وفي عهد الحكم المستنصر أيضاً نشطت الفلسفة حتى أخذت نتاجات علمائها تضاهي نتاجات الفارابي، وفي مقدمتهم أبو الحكم منذر بن سعيد (ت 355هـ / 966م)، العالم الفيلسوف، والأديب المتكلم والشاعر الناقد الذي رحل إلى العراق، ودرس فيها مذهب النظر والاحتكام إلى العقل، واستخدام القياس والمنطق، واحتل مكانة لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، فعينه على قضاء طرطوشة خلافاً لرغبة الفقهاء المالكية، فكان يقضي بمذهب مالك في مجلس فضائه⁽⁶⁾.

4. التأثير في الناحية العلمية :

لقد كان للمدرسة العراقية أثر فعال في غرس العلوم الصرفة، والتي يسميها أبو علي القالي بـ (علوم الدراية) عن طريق الرواد العراقيين، أمثال: الطبيب إسحاق بن عمران الملقب (بسم ساعة)، والطبيب يونس الحراني

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18 / 205؛ رضا، محمد سعيد، الصلوات الثقافية، 101-102.

(5) الضبي، بغية الملتبس، 1 / 440-441؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1 / 229.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2 / 127-128؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله، تاريخ قضاة الأندلس وسماءه (كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ - 1983م)، 66.

(1) الضبي، بغية الملتبس، 1 / 299؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 96 / 1؛ ابن بسام، أبو الحسن علي (ت 542هـ /)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: د. إحسان عباس، (دار الثقافة، بيروت، 1417هـ - 1997م)، 449.

(2) المعتضد بن عباد: هو أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، تولى إمارة أشبيلية سنة 433هـ / 1041م بعد وفاة أبيه، وكان بلاطه بلاط العلماء والفقهاء، وأشتهر عصره بالعلم والشعر والفن، فقصدته الشعراء من كل جانب في الأندلس حتى أصبح بلاطه الملكي محلياً بالشعراء ورجال العلم، توفي سنة 461هـ / 1069م؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 430؛ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت 658هـ / 1260م)، الحلة السيرة، تح: الدكتور حسين مؤنس، ط 2، (دار المعارف، 1985م)؛ السرجاني، راغب، قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط، ط 1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 1432هـ - 2011م)، 347-352.

(3) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، 3 / 25-26.

العلوم الصرفة⁽⁵⁾، التي كانت انعكاساتها واضحة مع تطور الدراسات الحسابية والجبرية، والهندسية في بلاد الأندلس على يد أبي عبيدة مسلم بن أحمد البلنسي (ت 295 هـ / 907 م)، في قرطبة⁽⁶⁾، وأبي قاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (398 هـ / 1007 م)⁽⁷⁾، إمام الرياضيين في الأندلس وغيره، وأبي محمد بن عبد الله المعروف بابن ياسمين (600 هـ / 1203 م)⁽⁸⁾، الذي عرف بأرجوزته في الجبر والمقابلة، واشتهر الفلكي الأندلسي أبو محمد جابر بن أفلح في علم المثلثات.

وتتضح ملامح المدرسة العراقية فينتاجات علماء الأندلس في الرياضيات، والعلوم الصرفة الأخرى، فكتاب (اختصار الجبر والمقابلة) لأبي محمد بن محمد المعروف بابن بدر الأشبيلي يذكر المسائل الست الموجودة في كتاب الخوارزمي⁽⁹⁾، وطبق أهل الأندلس قوانين أبي الحسن بن الهيثم الهندسية على فن البناء، فشيّدوا الأبنية الضخمة، والقصور الفخمة التي تميزت بالإتقان والمتانة، كقصور الحمراء وحنائقها، والقصر الكبير والزهراء والزاهرة، والنافورات المائية التي تروي حنائقها، ومن العلماء الأندلسيين الذين اشتغلوا بتسمية حساب المثلثات أبو محمد جابر بن أفلح الأندلسي⁽¹⁰⁾.

الذي دخل الأندلس أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (273-238 هـ / 886-852 م)، والرياضي أبي اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني، والجغرافي محمد بن حوقل وغيرهم أ، وبجهود قدمها طلاب الرحلات العلمية الأندلسية العائدين من العراق إلى بلادهم، أمثال: الطبيب أبي القاسم خلف الزهراوي⁽¹⁾، فضلاً عن انتقال الكتب العلمية العراقية إلى الأندلس، ككتاب (الحشائش والنباتات) المعروفة بكتاب الأدوية المفردة الذي نقل من بغداد إلى الأندلس⁽²⁾، والذي اعتمده ابن جليل، حيث أشار إليه في مقدمة كتابه قائلاً: أنه كتاب ديسقوريدوس، تم ترجمته بمدينة السلام أيام الخليفة جعفر المتوكل (247-232 هـ / 847-861 م)، المترجم له اصطفي بن بسيل، ووصل هذا الكتاب إلى الأندلس فانتفع الناس منه⁽³⁾، وكتب ابن سينا، ورسائله الطبية التي أصبحت مثالا يحتذى بها في الأندلس، حتى تميزت بالوضوح والتنسيق والمنهج المنتظم، وقد حذا أبو مروان عبد الملك بن زهر حذو بغداد في دعوته إلى تطبيق مبدأ التخصص في الطب⁽⁴⁾.

أما في مجال الرياضيات والهندسة والجبر والفلك، فكان لتقدم هذه العلوم على أيدي علماء العراق، أمثال ابن الهيثم والحجاج بن مطهر، ومحمد الخوارزمي واضع علم الجبر، وأولاد موسى بن شاكر (محمد وأحمد والحسن)، وأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وسند بن علي المنجم، وجابر بن حيان وغيرهم، تدل تراجم حياتهم العلمية على عبقريتهم المبدعة في ميادين

(5) رضا، الصلات الثقافية، 117.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2 / 113.

(7) صاعد طبقات الأمم، 114؛ القفطي، تاريخ الحكماء، 326.

(8) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د-ت)، 1 / 62-63.

(9) الصباغ، رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، ط 1، (دار الوفاء، الإسكندرية، 1998 م)، 265.

(10) أبو عبيدة، طه عبد المقصود، الحضارة الإسلامية - دراسة في العلوم الإسلامية، (دار الكتب العلمية، بيروت، د-ت)، 2 / 896.

(1) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، 84؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 487-486، 501، 561؛ ابن بشكوال، الصلة، 1 / 162؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 208.

(2) مطلب، محمد عبد اللطيف، تاريخ العلوم الطبيعية، (دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978 م)، 118.

(3) طبقات الأطباء والحكماء، 7.

(4) رضا، الصلات الثقافية، 116.

الموسيقي اليهودي القرطبي (أبو النصر منصور)، فأخذ طريقه إلى الأندلس، وعندما دخلها ووصل إلى الجزيرة، علم ب وفاة الأمير الحكم الأول، وأن ابنه عبد الرحمن الثاني تولى الحكم بعده، فسارع عبد الرحمن الثاني ليطلب منه مواصلة الرحلة إلى قرطبة، وأرسل إليه بالكثير من الهدايا، جعلته يتخذ قرارا بالبقاء في الأندلس، ما بقي له من العمر، وعندما وصل زرياب قرطبة سنة (207هـ / 822م) واستقبله الأمير عبد الرحمن، وهياً له راتباً مرتفعاً (مائتي دينار) شهرياً، وخصص له إقطاعاً من الأرض شديدة الخصوبة، وكان له أربعة أبناء مارسوا مهنة أبيهم، وظل زرياب حتى توفي (243هـ / 857م) ⁽⁴⁾، وإليه يرجع الفضل في إدخال تعديلات فنية على العود، فزاده إلى خمسة أوتار بدلاً من الثلاثة التي كان عليها، كما كانت الريشة عبارة عن ريشة قوادم النسر بدلاً من القطعة الخشبية ⁽⁵⁾، ويشير الدكتور خالد الصوفي إلى أن كتب الأخبار، تشير إلى قابليات زرياب في مجال العلوم ذات الصلة بالموسيقى، والغناء كاطلاعه الواسع في علوم اللغة والأدب، وفي التاريخ حتى قيل أن الأمير عبد الرحمن الثاني بن الحكم، كان يذكره في أحوال الملوك، وسير الخلفاء، ونوادير العلماء، فوجد فيه بحراً زخراً عليه مده، وأعجب بأقواله ومعلوماته ⁽⁶⁾،

(4) بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط غرناطة (711 / 1031م)، تر: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، ط3، (مدريد، 1967م)، 213-214؛ بالثيا، أنجل ختباك، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م)، 74-76.

(5) ابن دحية، أبو خطاب عمر بن حسن (ت633هـ / 1235م)، المطرب من إشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، (دار العلم للجميع، بيروت)، 133؛ التنبوي، محمد لبيب، رحلة الأندلس، ط1، (الرباط، 1927م)، 123.

(6) تاريخ العرب في الأندلس، 226-221.

أما مسلمة بن أحمد المجريطي فقد اعتمد في مؤلفه (رسالة الاضطراب واختصار تعديل الكواكب) على زيج ⁽¹⁾ البستاني كما عني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي، وزاد فيه جداول حسنة ⁽²⁾.

5. أثر الفن البغدادي على الأندلس :

إن من العناصر التي أسهمت بدور فعال في إضفاء المشرقية من جديد على قرطبة، إنه أبو الحسن علي بن نافع المغني العراقي (زرياب)، لقد كانت ولادته في مدينة الموصل عام (173هـ / 789م)، وكنى بـ (زرياب) بسبب سمرة بشرته، ويرى البعض أن هذا اللقب كان يطلق على عصفور ذي ريش أسود، وتميز زرياب منذ نشأته كتلميذ نجيب للموسيقي الشهير (إسحاق الموصلي) ⁽³⁾، وقد وصلت شهرة زرياب للخليفة العباسي (هارون الرشيد) (193-170هـ / 809-786م)، فطلب من أستاذه أن يأتي به إلى البلاط لسمعته، فأثار تفوقه غيرة إسحاق الموصلي لدرجة أن زرياب خشي على حياته إذا ما بقي في بغداد، فاضطر للخروج منها متوجهاً إلى المغرب بحثاً عن الرزق، وبعد أن مكث فترة وجيزة في البلاط الأغلبي، كانت شهرته قد سبقته إلى الأمير الحكم الأول (206-180هـ / 821-796م) في الأندلس من خلال

(1) الزيج هو: كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم، ويستخرج بواسطة التقويم؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ / 1414م)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط1، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ - 2005م)، 192.

(2) القفطي، تاريخ الحكماء، 326.

(3) إسحاق الموصلي: هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الأخباري، صاحب الموسيقى والشعر الرائق، والتصانيف الأدبية مع الفقه واللغة ولد سنة بضع وخمسين ومائة، قال عنه المأمون: لولا شهرة إسحاق بالغناء لوليت القضاء ومات سنة (235هـ / 849م)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11 / 119.

وأوجد في الناس تهذيباً في الوجهة الاجتماعية، وكانت نوادره، ولطائفه تروى حكماً، وأمثالاً في جميع بلاد الأندلس⁽³⁾.

وقلد الأندلسيون أهل المشرق في العمران وزادوا عليهم في الإكثار من الحمامات، بعد أن شغفتهم النظافة حباً، ولكنهم خالفوا المشرق في أشياء، فتحرروا من لباس الرأس، ومشوا في الطرقات حاسرين الرأس، وتحرروا من بعض المفاصل الاجتماعية كالتسول، تلك الظاهرة الشائعة في المشرق، ومن محاسن أهل الأندلس أن العالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، ويشار إليه ويكرم، وأما الجاهل الذي لم يوفق للعلم فيجهد نفسه كي يتميز بصنعة⁽⁴⁾. وتذكر المصادر أن صناعة الورق دخلت العراق من الصين، في عهد الخليفة هارون الرشيد (193-170هـ/ 809-786م)، الذي أمر باستخدام الورق في كتابة المصاحف، وانتشرت هذه الصناعة انتشاراً هائلاً بتشجيع من الخليفة في القرن الثاني للهجرة، وأخذ الأندلسيون هذه الصناعة التي انتقلت إلى أوروبا التي لم تكن تعرف هذه الصناعة إلا في القرن الثالث عشر الميلادي⁽⁵⁾.

أما صناعة النسيج فمثلها مثل فنون البناء، حيث أخذت معظم أصولها وفنونها من صناعة النسيج العراقية، وكانت المنسوجات البغدادية من التحف المستظرفة عند أهل الأندلس، لذلك تشابه إنتاج دور الطراز في كل من بغداد وقرطبة، وهذا ما يؤكد أن القطيعة السياسية، والعداء المتوارث بين الأسرتين

(3) مدينة المسلمين في إسبانيا، تر: د. محمد تقي الدين الهلالي، ط2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1405هـ - 1985م، 84-83.

(4) الدغلي، محمد سعيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، ط1، (دار أسامة، 1404هـ - 1984م)، 69.

(5) الراشد، عبد الجليل، التأثيرات العراقية في الأندلس وأوروبا، ط1، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001م)، 59.

وتجاوز نشاط زرياب الفني إلى النشاط الاجتماعي، حيث قرر هو بلا منافس مسائل الأناقة، وابتكار الأزياء الجديدة للبلاط، أولاً ثم لعامة الناس ثانياً، وتغلغلت شخصيته في الوسط الاجتماعي، حتى بلغت المطبخ الأندلسي، حيث علّم أهل قرطبة صنع الأطعمة الشرقية على النمط البغدادي في كيفية إعداد وجبة راقية من الطعام، كذلك علمهم نظام آداب المائدة، وكيفية تقديم ألوان الطعام بما ينسجم، والذوق البغدادي، ووضح لهم إن أقذاح الزجاج الثمين، تكون أكثر ملائمة من أقذاح الفضة والذهب، وكان الناس يطلبون منه النصيحة، وكانوا ينفذونها بحذافيرها، فليس هناك ما هو أكثر تأثيراً من تلك التيارات الحضارية القادمة من بغداد إلا تأثير زرياب، لقد غيرت المدينة والبلاط الملابس والأثاث والمطبخ، وكان الحكم هو زرياب⁽¹⁾.

إن ما حظي به زرياب من تفويض الأمراء له في كل ما يقترح ويبدع، ما شجعه على غرس إبداعاته الغنائية، والفنية والاجتماعية في الأندلس، كما أنه وجد شعباً مرحاً ميلاً بطبعه للغناء والموسيقى، وله مواهب، واستعدادات للأخذ بكل ما هو جديد مع امتلاكه لذوق فني ظاهر، ورفيع وقد صقلهم الذوق العربي، وأغرقوا في شعره، وافتتنوا فيه، وابتدعوا الموشحات والأزجال، وتغنوا بها، حتى أصبح نشاطه مادة للتأليف من قبل أدباء عصره، فهذا أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سيد، يؤلف كتاباً في أغاني زرياب تيسر المسالك لوقوف الناس على أغانيه⁽²⁾.

وقال عنه جوزيف ماك كيب: فأين يوجد في عالمنا شخص يداني زرياب، القرطبي الموسيقي الشهير.....

(1) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، 57-56؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 215؛ الراشد، التأثيرات العراقية، 62؛ الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، 227.

(2) الضبي، بغية الملتبس، 1/ 224.

الخاتمة

لم يكن الفتح الإسلامي للأندلس عام (92هـ/ 711م) احتلالاً عسكرياً، بل كان حدثاً حضارياً هاماً، امتزجت فيه حضارات سابقة مع حضارة المشرق الإسلامي نتج عنه حضارة الأندلس الإسلامية، التي أثرت في الحياة الأوربية، وتركت آثاراً عميقة، ما زالت تراءى مظاهرها بوضوح حتى يومنا هذا، وما أن استقر المسلمون في الأندلس، إلا تأقت أنفسهم إلى المشرق، لجلب ما فيه من علوم ومعارف، ودواوين وتآليف، لذلك نهض جمع كبير من الأندلسيين الذين تحملوا مشقة السفر والتجوال، وعناء الترحال، كي يدخلوا إلى بلادهم تآليف مشرقية، وكتباً في ضروب العلم مبتكرة ونفيسة، ونتيجة الرحلات أن قوي اتصال الأندلس بالمشرق عامة، وبغداد حاضرة العالم الإسلامي خاصة، وصار الكتاب المشرقي يجد طريقه إلى الأندلس، وقام أهل الأندلس باستنساخ الكتب المشرقية بأيديهم، وتنافسوا في ذلك وتباهوا به، من كتب التراجم، والفهارس وعلوم اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، ومن ثم العلوم التجريبية .

- لولا وصول المعرفة الإسلامية المشرقية إلى الأندلس، ورحلة علماء المشرق إلى الأندلس، ورحلة علماء الأندلس إلى المشرق، لما تمكن الفكر الأندلسي من أن يدلي بدلوه في تقدم الحضارة الإسلامية، بما أبدع من كتب، وتآليف خاصة به، ولما تمكن من التأثير في فكر أوروبا التي أقبلت على معارف المسلمين الأندلسيين في قرطبة، وأشبيلية وغيرهما مقتبسة متعلمة، ثم شيدت بعد حضارة راقية .

- وكانت لمساجد الأندلس رسالتها، كما كانت في المشرق، حيث ساهمت في قراءة الكتب، ونشرها بين الناس حيث أقبل طلاب العلم والمريدين على المساجد للنهل من العلم، ومن أشهرها؛ المسجد

العباسية والأموية لم تستطع أن تحول دون انتقال الكثير من التأثيرات العراقية العلمية والأدبية والفنية بين بغداد وقرطبة⁽¹⁾.

ومن التأثيرات العراقية الحضارية، انتقال التقاليد الزراعية إلى الأندلس، وقد أنشأ مزارعو الأندلس حدائق بستانية في طليطلة، وغيرها في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي، وحاولوا التعرف على طرق أقلمة النباتات الغريبة في الأماكن التي عملوا فيها بغية تحسين أنواع الغلات، والمحاصيل عن طريق المعالجة الدائمة لردود فعل تلك النباتات، والتربة التي عاشوا عليها⁽²⁾، لذلك درسوا تركيب التربة، وسعوا جهدهم في استصلاح الأراضي البور، كما حاولوا تحديد خواص الأسمدة، وملاءمتها بحسب الحالات، ودرسوا وسائل استثمارها بواسطة القنوات، والآبار والنواعير وغيرها، وأدركوا أهمية الزراعة الدورية، وإراحة الأراضي المزروعة بين فترة وأخرى، وحصلت حركة هجرة ضخمة للمحصولات الزراعية من المشرق إلى الأندلس، ومن أبرزها الأرز، وقصب السكر والفواكه⁽³⁾.

(1) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 2 / 154؛ أدويدار، حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ط1، (مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1414هـ - 1994م)، 263-262؛ بلباس، ليوبولدو توريس، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (1031-711م)، تر: علي عبد الرؤوف وآخرون، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م)، مج 2 / 2 / 381.

(2) الجيوسي، سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط1، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م)، 2 / 1303، 1345.

(3) الجيوسي، الحضارة العربية، 2 / 1345-1346.

- لذلك المقابلة للمكتوب، والمعارضة للمنسوخ.
- لقد أوتي أهل الأندلس حظاً وافراً من توقد الأذهان، وسيلان القرائح والإفهام فغزرت محفوظاتهم، وكثر مخزونهم في العلم، وقوي وعيهم لما نقلوه من كتب ومؤلفات، وتنوعت الكتب المحفوظة، فمن كتب حديث وفقه إلى كتب أدب وشعر، إلى كتب سير وتاريخ.
- لقد اعتنى أهل الأندلس بضبط الكتب، وتجويد طرق استنساخها، حتى صارت صفة الضبط والتقييد مما ساق في معرض التعديل والتوثيق، والمدح والثناء، لذلك كان بعض العلماء الإثبات يتوقى الرواية من بعض المشايخ، الذين لم يكونوا قد قيدوا، وضبطوا روايتهم زمن التحمل في كتاب، وربما استلزم الضبط والتصحيح للكتب من بعض أهل العلم بالأندلس وقتاً طويلاً.
- أصبحت قرطبة يوماً قبلة العلماء وطلاب العلم، وأنها لم تكن في أي وقت بمعزل عما يجري في حواضر العلم الإسلامية الأخرى؛ بغداد، دمشق، القاهرة، فكانت الصلات الفكرية والعلمية مستمرة بين مختلف أقطار العالم الإسلامي، ينتقل بين ربوعها العلماء والطلاب والمؤلفات.
- ومن خلال الدراسة والبحث، يتبين لنا أن الحضارة الإسلامية في الأندلس هي: امتداد للحضارة الإسلامية في المشرق، وتمثل ذروة ما توصلت إليه الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب.
- الجامع بقرطبة الذي كان مفخرة من مفاخر قرطبة.
- ولقد اعتنى أهل الأندلس بجمع الكتب المشرقية، وتأسيس المكتبات العامة والخاصة، كان حصيلة ذلك أن أثمر فكراً أندلسياً جديداً، ساهم في تطوير مسيرة العلم الوافد من المشرق، وكانت الرحلات لونا من ألوان التبادل الفكري والأدبي، وإن مثلت واسطة احتكاك بين الثقافات المختلفة من جانب، وأداة تفاعل داخل الثقافة الواحدة من جانب آخر، كان ذلك عاملاً في نمو الحركة العلمية والفكرية والأدبية في الأندلس، وقد مثلت نقلة في الحياة الثقافية إلى طور جديد، بإسهامات عدد من علماء المشرق منهم: أبي علي القالي، وعناية الأمراء والخلفاء بالعلم والعلماء، الذين سعوا في استقدام العلماء من المشرق، وإحاطتهم بالرعاية، وشجعوا أهل العلم على التأليف، والبحث العلمي، وانفقوا في ذلك كله الأموال منهم الحكم المستنصر (ت366هـ/976م).
- اعتنى أهل العلم في الأندلس بوضع التأليف على الكتب المشرقية الوافدة إلى بلادهم، وذلك باختصار المطول، أو شرح الغامض المستغلق، أو دراسة جزئية مخصوصة من كتاب معين وغير ذلك.
- لقيت المعرفة الإسلامية الوافدة من المشرق أرضاً صالحة، وجواً علمياً مناسباً، حيث أكرمها أمراء الأندلس، وهيئوا أسباب نشرها في الأندلس بما شيدوا من مصانع الورق.
- استقبل أهل الأندلس الكتب المشرقية الوافدة عليهم استقبالا كريماً، فانزلوها من أنفسهم منزلاً رفيعاً، وكان حفظ الكتب عند أهل الأندلس سبيلاً إلى الشرف والرفعة والرياسة والزعامة.
- لجأ أغلب أهل الضبط والتقييد في الأندلس إلى ما جرى عليه أهل الحديث في توثيق المكتوب، وصيانتهم من أن يدخله التحريف، أو السقط، فشاعت بينهم

(ت 1068هـ / 1657م)،

8. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (دار

إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د ت).

• الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ / 1095)،

9. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: بشار عواد

معروف، ط 1، (دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ - 2008م).

• الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ / 1494م)،

10. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: الدكتور

إحسان عباس، ط 2، (مكتبة لبنان، بيروت، 1984م).

• ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ / 1374م)،

11. الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي طويل، (دار الكتب العلمية، بيروت).

• الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م)،

12. تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمن بن يحيى، (دار المعارف العثمانية، 1374هـ - 1954م).

13. العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط 1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ - 1985م).

14. سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، ط 1، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ - 1983م).

• الزركلي، خير الدين محمود بن محمد بن علي (ت 1396هـ / 1976م)،

15. الأعلام، ط 6، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م).

ثبت المصادر والمراجع :

• ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ / 1260م)،

1. التكملة لكتاب الصلة، تح: د. عبد السلام المهراس، (دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م).

2. الحلة السيرة، تح: الدكتور حسين مؤنس، ط 2، (دار المعارف، 1985م).

• ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ / 1269م)،

3. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، ط 1، (دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م)

• ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ / 1147م)،

4. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: الدكتور إحسان عباس، (دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1417هـ - 1997م).

• ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ / 1182م)،

5. كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط 1، (المكتبة العصرية، بيروت، 1423هـ - 2003م).

• البغدادي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ / 1128م)،

6. معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ - 1990م).

• ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (ت 377هـ / 987م).

7. طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، ط 2، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ - 1985م).

• حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله

- ابن سعيد ، علي .
 - 16. المغرب في حلي المغرب ، تح: شوقي ضيف ، ط4 ،
(دار المعارف ، لبنان ، 1993م).
 - الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت599هـ/
1203م)،
 - 17. بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تح:
إبراهيم الأبياري، ط1، (المطبعة العصرية،
بيروت، 1410هـ - 1989م).
 - ابن العماد ، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن
أحمد الحنبلي (ت1089هـ / 1678م)،
 - 18. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: مصطفى
عبد القادر عطا، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، 1419هـ - 1998م).
 - ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين
(ت799هـ / 1396م)،
 - 19. الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب،
تح: الدكتور علي عمر و الدكتور محمد الأحدي أبو
النور، (دار التراث، القاهرة، دت)
 - ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد
(410هـ / 1019م)،
 - 20. تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري،
ط1، (دار الكتاب المصري، القاهرة، 1403هـ -
1983م)
 - فيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب
(ت817هـ / 1414م)،
 - 21. القاموس المحيط، (دار الفكر، بيروت).
 - المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ /
1631م)،
 - 22. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد
محيي الدين عبد الحميد ، ط1، (مطبعة السعادة،
مصر، 1369هـ - 1949م).
 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال
الدين (ت711هـ / 1311م)،
 - 23. لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد
الصادق العبيدي، ط1، (دار إحياء التراث العربي،
بيروت، دت).
 - ابن النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن
(ت793هـ / 1395م)،
 - 24. تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا
فيمن يستحق القضاء والفتيا، (تح: لجنة إحياء
التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط5،
1403هـ - 1983م).
- المراجع :
- أمين ، أحمد.
 - 1. ظهر الإسلام، ط5، (بيروت، 1388هـ - 1969م).
 - بروفنسال ، ليفي ،
 - 2. تاريخ أسبانيا المسلمة من الفتح إلى سقوط الخلافة
القرطبة، ترجمه إلى الإسبانية: أميليو جالسيا، وترجمة
الى العربية: علي عبد الرؤوف وآخرون، ط1،
(المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2002م).
 - 3. الحضارة العربية في إسبانيا، تر: د. الطاهر أحمد، ط3،
(دار المعارف - مصر ، 1414هـ - 1994م).
 - النثيا ، انخل جنثالث ،
 - 4. تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، تقديم:
سليمان العطار، (المركز القومي للترجمة، القاهرة،
2011م).
 - جوزيف ماك كيب .
 - 5. مدينة المسلمين في إسبانيا، تر: د. محمد تقي الدين
الهلالي، ط2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،
الرباط، 1405هـ - 1985م).
 - سالم ، عبد العزيز ،

6. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية عراقية أثرية في العصر الإسلامي، (مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية، 1997م).
7. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م).
- السرجاني، راغب،
8. قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط 1، (مؤسسة إقرأ، القاهرة، 1432هـ - 2011م).
- لوبون، غوستاف،
9. حضارة العرب، تر: عادل زعتر، ط 4، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384هـ - 1964م).
- معروف، ناجي.
10. تاريخ علماء المستنصرية، ط 1، (مطبعة العاني، بغداد، 1379هـ - 1959م).
- مطلب، محمد عبد اللطيف،
11. تاريخ العلوم الطبيعية، (دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م).
- يوسف، يوسف أحمد،
12. علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ط 1، (مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، أربد، الأردن، 2002م).

الرسائل والأطاريح :

- بولعراسي، خميسي،
- 1. الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر الملوك الطوائف (476-400هـ / 1081-1009م)، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة الحاج لخضر، تونس، 1427هـ - 1428هـ / 2006-2007م، 137.